

## الوافي في الوفيات

أهذا الذي أطريتِ نعتاً فلم أكن ... وعيشكِ أنساه لدى يومٍ أُقبرُ ؟ .  
فقلت : نعم لا شكَّ - غيَّرَ لونه ... سُرى الليلِ حتَّى نصَّه والتهجُّرُ .  
لئن كان إيَّاه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسانُ قد يتغيَّرُ .  
رأتُ رجلاً أمَّماً إذا الشمس عارضتُ ... فيضحى وأمَّماً بالعشيِّ فيحضرُ .  
أخا سفرٍ جوَّاب أرضٍ تقاذفتُ ... به فَلَواتُ فهو أشعثُ أغبرُ .  
قليلُ على ظهر المطيَّةِ طلَّه ... سوى ما نفى عنه الرداءُ المحبِّرُ .  
وأعجبَها من عيشها طلَّ غُرْفَةٍ ... وريَّانُ ملتفَّ الحقائقِ أخضرُ .  
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يهملُها ... فليستُ لشيءٍ آخرَ الليلِ تسهرُ .  
وليلة ذى دَوَّرانٍ جشَّمني السُّرى ... وقد يَجشمُ الهولَ المحبِّ المَغرَّرُ .  
فبتُّ رقيباً للرفاق على شفاءٍ ... أراقبُ منهم من يطوف وأنظرُ .  
إليهم متى يستأخذ النومُ فيهمُ ... ولي مجلسُ لولا اللابانةُ أو عرُ .  
وباتتُ قَلَّوصي بالعراء ورحلُها ... لطارق ليلٍ أو لمن جاء مُعوَّرُ .  
وبتُّ أنُجى النفسَ : أين خباؤها ... وأنَّى لما آتى من الأمرِ مصدرُ .  
فدلَّ عليها النفسَ ريَّماً عرفتها ... به وهوى الحبِّ الذي كان يُضمِرُ .  
فلمَّما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتُ ... مصابيحُ شُدِّتْ بالعِشاءِ وأَنورُ .  
وغاب قُومَ يَدْرُ كنتُ أرجو غيوبه ... وروَّحَ رعيانُ ونوَّمَ سُمَّ رُ .  
وخُفِّضَ عِنِّي الصوتُ أقبلتُ مَشِيَّةً ال ... حُبابِ ورُكني خيفةَ القومِ أَرزُورُ .  
فحيَّيتُ إذْ فاجأتها فتوهَّلتُ ... وكادتُ بمرجوعِ التحيَّةِ تَجهرُ .  
فلمَّما كشفتُ الستَرَ قالتُ : فضحتني ... وأنتَ امرؤُ ميسورُ أمرُ أعسرُ .  
أريتكَ إذْ هُنَّ أَلْمُ تخفُّ ... رقيباً وحولي من عدوِّك حُضَّ رُ .  
فوالله ما أدري أتعجيل حاجةٍ ... سرتُ بك أم قد نام من كنتَ تحذرُ .  
فقلتُ لها : بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما نفسُ من الناسِ تشعرُ .  
فقلتُ وقد لانتُ وأفرَّخَ روعُها ... كلاكَ بحفظِ ربِّك المتكبِّرُ .  
فأنتَ أبا الخطَّابِ غيرَ مُنازعٍ ... عليَّ أميرُ ما مكنتَ مؤمَّ رُ .  
فيا لك من ليلٍ تقاصرَ دونه ... وما كان ليلى قبل ذلك يَقرُّ .  
ويا لك من ملهَى هناك ومجلسٍ ... لنا لم يكدره علينا مُكدِّرُ .  
يمُجُّ ذكيَّ المسكِّ منها مُفَلَّجٌ ... نقيَّ الثنايا ذو غروبٍ مؤشِّرُ .

يرفُّ إِذَا تَفْتَرُّ عَنْهُ كَأَنَّ زَهَّهَ ... حصى بِرَدِّ أَوْ أُفْحَوَانُ مَنْوَّرُ .  
وترنو بعينيها إِلَيَّ كما رنا ... إِلَى ظبيةٍ وَسَطَ الخميلةِ جُوذَرُ .  
فلمَّا تقضَى الليلُ إِلَّا أَقْلَاهُ ... وكادت هوائي نجمه تتغوَّزُ .  
أشارتُ بأنَّ الحيَّ قد حان منهمُ ... هبوبُ ولكنَّ موعدُ لك عزَّوَرُ .  
فما راعني إِلَّا منادٍ : تحمَّـلوا ... وقد لاح معروفُ من الصبحِ أشقرُ .  
فلمَّا رأتهُ من قد تنوَّـرَ منهمُ ... وأيقاظهم قالت : أشـرُّ كيف تأمُرُ .  
فقلت : أُناديهم فإمَّا أفوتهمُ ... وإمَّا ينالُ السيفُ ثأراً فيثأرُ .  
فقلتُ : أتحيقُ لما قال كاشحُ ... علينا وتصديقُ لما كان يدُؤثرُ .  
فإنَّ كان لا بدَّ منه فغيره ... من الأمرِ أدنى للخفاءِ وأسترُ .  
أقصُّ على أختيَّ بدء حديثنا ... وما ليَ من أن يعلمنا متأخَّرُ .  
لعلَّهما أن يبغيا لك مخرجاً ... وأن يرَّحبا سرباً بما كنتُ أحصَرُ